

إذا دخل من الحقل

لما طلب التلاميذ من السيد المسيح أن يزيد إيمانهم حدثهم أولاً عن إيمان حبة الخردل ثم استطرد قائلاً: "ومن منكم له عبد يحرق أو يرعى يقول له **إذا دخل من الحقل** تقدم سريعاً واتكئ. بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمني حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت " (لو ١٧ : ٧-٨).

من الملاحظ في هذا المثل أن عبارة "إذا دخل من الحقل" تفصل بين مرحلتين زمنيتين في مسيرة الجهاد الروحي:

(١) مرحلة الخدمة في الحقل في الحرث والرعاية والتي تبدو كمرحلة شاقة من الجهاد، مملوءة بالأعمال، وتتم تحت تحديات كثيرة من حرارة الشمس وبرد الشتاء والعواصف والرياح: "كنت في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد وطار نومي من عيني" (تك ٣١: ٤٠).

(٢) مرحلة الدخول من الحقل، أي الدخول إلى مخدع القلب حيث الملكوت الداخلي في الإنسان الباطن. إلا أن هذا الدخول في حد ذاته لا يكون كافياً لإعلان مجيء زمان التعزية بل زمان التمنطق في خدمة السيد في شخصه وإتمام مشيئته. إنها مرحلة انتقال العبد من إئتمانه على مملكتات سيده إلي إئتمانه على السيد ذاته. إنها مرحلة الانتقال من السجود بالجسد إلى السجود بالروح، من الاهتمام والاضطراب لأجل أمور كثيرة إلى التركيز على النصيب الصالح.

والحقيقة أن الله يطلب هنا من عبده برهان إيمانهم. فالعبد الذي لاقى الكثير من المشقة والتعب في الخدمة طوال نهار عمره تستعجل نفسه في طلب الراحة كمكافأة. إلا أن تلك اللحظة بعينها تكون زمان امتحان الإيمان، وعدم التذمر، والصبر، وإنكار الذات. إنها لحظة تصحيح المفاهيم. فقد يظن العبد في جهله وشقاوته تحت تأثير شفقتة على نفسه ومحبتة لذاته أنه قدم ما قدمه على سبيل الدين للسيد بالتالي ينتظر منه رد هذا الدين. والحقيقة أن هذا هو الفخ الذي وقع فيه بطرس الرسول عندما قال

للرب: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧) وكأن لسان حاله يقول له: "ها رد لنا المكافأة سريعاً فهذا حقنا عندك في مقابل ما قدمناه". إلا أن بطرس الذي كان لا يزال يحبو على طريق الإيمان لم يكن يعلم أنه لازال أمامه طريق طويل من الجهاد حتى الدم قبل أن يتكلم. فلا مطالبة بحقوق ومكافآت في الإيمان، لا على مستوى الوعي ولا على مستوى اللاوعي والتوقع الداخلي. وكل من يقف عند مرحلة خدمة الحقل متصوراً أنه قد تكمل في كل أعمال الجهاد يكون مخدوعاً من عدو الخير الذي يجعل هذه الأعمال مصدراً لانتفاخه وزهوه. أما طريق الكمال الذي للإيمان فهو نسيان ما هو وراء والدخول إلى العمق بكل اتضاع لإعداد العشاء للسيد. لكن هوذا السيد الكثير الرحمة لا يرتضي في حنوه واتضاعه أن يتعشى وحده. فحتى وإن بدا الأمر في ظاهره أن العبد هو الذي دخل من الحقل وأعد العشاء للسيد إلا أن الحقيقة الروحية الباطنية تنص على أن السيد هو الذي يدخل إلينا ويتعشى معنا ونحن معه (رؤ ٣: ٢١).